بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات

Translation of (77-155) Pages from the Book Entitled: Narrative of Expedition to Dongla and Sennaar

ترجمة الصفحات (77-155) من كتاب بعنوان : رواية الحملة العسكرية المتجهة الى دنقلا وسنار

تأليف الكاتب: جورج بثيون

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة العامة

ترجمة الدارس :

فارس إدريس الطريفى حمد

إشراف :

الدكتور/ هيلري مارينو فيتيا

2018 A D

مقدمة (المترجم)

هدفت ترجمة هذا الكتاب لعكس تفاصيل الحملة العسكرية والتى إتجهت إلى دنقلا وسنار ، ومقابلة السودانيين لهذا الامر بمايستحقه إذ مع الإشارة لضخامة هذه الحملة لكونها متجهة للقضاء على اكبر مملكة إسلامية فى السودان (مملكة السلطنه الزرقاء (سنار ـ الفونج)ولكونها إمتدت من **1504** الى **1821** أى لفترة **317** سنة

إحتوى الكتاب على مرحلتى الحملة إلى دنقلا ثم سنار

إتبع الدارس (المترجم) لنوعية الترجمة الحرة ـ الأدبية (التحريرية) وكذلك الترجمة الحرفية على نحو محدود .

واجهت المترجم بعض الصعوبات تمثلت(على سبيل المثال) فى العبارات والمصطلحات والمصطلحات العسكرية والتى تمكن الدارس من تجاوزها بمساعدة المعاجم اللغوية

Introduction

The translation of this book is intended to reflect the details of the military campaign that went to DONGLA and SENNAR and to meet Sudanese for this matter as it is worth mentioning the greatness of this campaign because it is destined to eliminate the largest Islamic kingdom in the history of Sudan.

The book contains the two phases of the campaign to DONGOL and SENNAR.

The translator follow the quality of free translation, literary or editorial as well as literal translation in a limited manner.

The translator faced some difficulties, for example in the phrases and some and some military terms that the student could overcome with the help of the language dictionaries .

الحالات القليلة التي ذكرتها هي مثل التي قدمت في الملاحة النهرية دون أن تتاح لي الفرصة أو الوقت للتدقيق فيها بشكل خاص أو الوقت أو الرسائل متابعة أي عمل في المنطقة المجاورة لهؤلاء الذين رأيتهم ومما لاشك فيه أن العديد منها قد اكتشف. بعض المسافرين في هذه المناطق النائيه والذين قد يكون لديهم القدرة والوسائل وأوقات الفراغ لاجتياز الجزر والشواطئ والتي رأيتها وأعجبت بها. أعتقد أن بعض الأعمال كوفئت بالاكتشافات والتي سوف تجد الاهتمام المرضي.

تعتبر الرحلة النيلية كمثال روحي لتاريخ الرجل حيث نلتقي في كل مرحلة مع آثاره ومعتقده الخرافي وإستبداده وطغيانه أو ترفه ولكن مع القليل من النصب التذكارية وبراعته الموجهه للمنفعة الحقيقية. نحن في كل مكان ننظر لأثر الانتقام بسلطه ولجرائمه في كل مكان على ضفاف النهر القديم وقد لمحنا مدناً مشهوره بالقوة والرفاهيه ومدمرة مثل المعابد المشهوره والأصنام الضخمه المخيفه.

إن الذين يحتلون أراضي الأمم والشعوب المنقرضه لم يستفيدوا من تاريخهم ولا مصيرهم. قتال الشعب أو الدوله الذى انتقم لقضية السماء على الأغاريق المتحررين ولكن بالرغم من ذلك لم تستمد أي تعليمات ولاتحذير من سقوطها ولا إخضاعها. وقد شهد النيل في هذا الوقت على العديد من الأمم والأجيال التى سادت وبادت. لاتزال الفيضانات تتدفق لتسميد أراضى الدول على حدودها مثل والتي قد تبدو محاوله أوجدها للتغلب علي جحود الانسان من السماء.

عند وصولي الي المعسكر أبلغت عن تفاصيل تقدم الابن المنتصر الموقر محمد علي من وادي حلفا إلى مروي وقد أسقط كل شي قبل تقدمه. كل محاولات ايقاف تقدمه اثبتت انها غير مجديه وكعقبات معاديه من قبل لصخور الضاره. من ماء عين النيل إلى مسار قوي نحو مصب النهر.

كما قال سيادته من قبل أن ينطلق من وادي حلفا يوم 26 ذي الحجة الماضي ، بعدعشرة أيام من مسيره قسريه وصل دنقلا الجديده. وفيما يتعلق بهذه القريه كان المختار علي رأس الكتيبه حوالي أربعمائه من الرجال وقد ذهل واختفى حوالي خمسمائة من العدو وأخذو العديد من أحصنتهم وجمالهم. بعد مسيرة أربعة أيام الى دنقلا الجديده كان الباشا علي طليعة حرس الجيش و جاؤوا مع الشايقيه وحلفاؤهم و انتشروا علي جانبي الجبل بالقرب من قرية تسمي كورتي علي الضفه الغربيه من النهر. في هذه المرحلة كان الباشا معه ستمائة من الفرسان وبعض من فرسان العباديين والجمال وكان لدينا حوالي خمسمائة جندي ولكن لاأحد يطلق النار من مدفعه. تقدم الجيش للمعركة وصرخات عالية ومدويه لم يستطع العباديون أن يصمدوا أمامهم وقد دفعوا نحو المؤخرة وفي هذا الوضع الحرج أعد سيادته سلاح الفرسان والمسدسات المشحونه والمصوبة وبعد قتال مميت ولم يكن طويلاً هرب من سلاح فرسان العدو وفزعوا بينما الذين قاتلوا علي أقدامهم سقطوا علي وجوههم ودروعهم فوق رؤوسهم لكي يسلموا من بطش سلاح الفرسان وكانوا يناشدونهم الرحمه.

وفي نتائج متتابعه لشؤون الدوله كلها مابين مكان قتال الشايقية والمكان المحتل من قبل القلاع والمواضع لملوك الشايقية والمعفو عنها. تابع الباشا مسيره الى ديار الشايقية حيث مالك ناظر عموم الشايقية قد جمع كل قوة الدولة من قطاع الطرق وذلك بالمخاطرة للدخول في معركة أخري. وجد الباشا بعد وصوله جزءا من قواته المرسلة الى الجزيرة بالقرب من الجبل الطويل. وقد ذكرت في دفترااليوميات أني رأيت مشهد المعركة قبل بضعة أيام قبل أن أصل والأعداء الذين كانوا قد هاجموا الجزيرة على الفور بقوات عسكرية أرسلوا على متن المراكب المصحوبة بالجيش وقد قطعت الى أشلاء وقذفوا بهم إلي النهر. عندئذ تقدم الجيش ليهجم على عدد ضخم من العدوعلى موقعهم في الجبل. ومن المفيد جداً أن الجبل يمتد في زوايا قائمة بالقرب من النهر ، والمساحة مابين الضفتين النهر المساحة تبلغ حوالي ربع ميل في العرض على نطاق و كانت المساحة مغطاة في ذلك الزمان بمزارع ومشاريع الذرة. وقد انتشر العدو على جانب الجبل وسط الذرة في الأرض المفتوحة مابين الجبل والنهر بحيث تم تأمين المؤخرة من قبل الجبل وقد كانت مغطاة بقلعة قوية عند سفح

أطرافها مستلقية على النهر. ملك شوز وملك زيبارا وزعماء الشايقية الآخرين وأتباعهم تآلفوا من سلاح الفرسان وقد جمعوا إما بالقوة أو الإقناع وكل الفلاحين الذين تحت إمرتهم وكانوا يشكلون حماية كبيرة تحيط بالجبل. تتكون أسلحتهم من الرماح والدروع وسيوف طويلة وعريضة ومزدوجة. كان هؤلاء الفلاحون البائسون يسيرون على أقدامهم وقد أرسلوهم أسيادهم فى المقدمة لمواجهة نيران الباشا بينما احتل فرسان شوز الجزء الخلفي من أجل إبقاء الفلاحين في أماكنهم. نشر الباشا قواته محازة العدو وقد أجبر القدر الأكبر من الفرسان لرفع المدفعية للتقدم. هرع العدو وصرخات عالية يرفعون الرماح. كان بعض الفلاحين متقدمين على الآخرين دون أسلحة مثل الرماح والدروع وقد ألقوا بأنفسهم على المدافع وقد قطعوا إلى أشلاء. وقد أصيبت القلعة على الجانب الأيمن للعدو بسلاح المدفعية وقد أفزع وأرعب سلاح الفرسان العدو وقد غادر جنود مشاتهم وأسقطت من قبل فرساننا والذين قد أبادوا المئات منهم في المعركة خلال المطاردة . لم يستطع ملك شوز وفرسانه مواصلة هروبهم حتي وصلوا إقليم شندي وقد غادروا قلاعهم الكبيرة والقرى واعتمادهم علي القرى صارت فى يد الغازي.

في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع مررت بمعسكر الباشا وعلى أية حال لم أتمكن من مقابلته الا بعد يومين وحينما كنت وحيدا أرسل لي واستقبلني بطريقة أكثر إغراءً وقد أمرني كالمعتاد بالجلوس فى حضرته. بعد المجاملات المعتادة أبلغت سيادته بأني كنت مكبوح وبائس ومكتئب لأن الحرب قد حرمتني الكثير، وقبل أن يغادر سيادته وادي حلفا وقد منعني في مسيراته المنتصره والمشاركة في مآثر قواته. لذلك لم أصل حتى أنه لم يكن هناك شيئاً للقيام به وأجاب سيادته أنه لايزال هناك الكثير ممايتبغي عمله أن أفعله. وقد أجبت بإطراء وبعد ذلك طلبت أحصنه وجمال لنفسي والجنود الذين أحضروني وأجاب يجب أن يكونوا عندي وقد جرت محادثات سرية. وبعد مضي تسعة أيام كان لدي سبب أن أصفق وأهتف للإنسانية والسياسة الرشيدة للباشا في العفو والسلام لكل قُطاع الطرق الذين وصلوا واستسلموا وسلموا أنفسهم والعديد من قادتهم. والذين يدعونه بملك يرافقه اتباعه وقد جاؤوا حينما كانوا بالقرب من معسكر مروي. وتعهد الزعماءل لسيادته أنهم تحت

حمايته وقد رجعوا مع أتباعهم إلى منازلهم في هدوء ورضى وقد لوحظ الانضباط الصارم في المعسكر ليحموا شعب الدولة من معاناة وجود الجيش. تعرض بعض الجنود والعمال المنزليين للضرب المبرح لأخذ الأغنام والماعز دون أن يدفعوا لهم وخمسة من العباديين والمساعدين أو الراكبين على الجمال أو الأبالة كانوا ملتزمين بسبب قتل بعض الفلاحين وكان شرفًا للجيش وقائده رؤية القرى المخفية في المعسكر والذي يسكنه الرجال والنساء والأطفال وقد ناضلوا الاحتلال دون خوف في البلد الذي كان مسرحاً للقتال هجرت وتصحرت الحقول ولعد ة أيام لم أر فلاحاً يعمل على الأرض. في المنطقة المجاورة لمخيم الباشا حيث سلم الناس أنفسهم.

بتاريخ الحادى والعشرين من رجب انفصلت كتيبة من سلاح الفرسان وغادرت من معسكر الدولة البربري التأمين تقدمه والحصول علي الابل و الخيول للجيش. وقد كانت نية الباشا أن يسير ليقيم معسكره ويبعد حوالي مسيرة ثمانية أيام من النهر. أمنيتى التي أريد تحقيقها هي الحصول على الأحصنة والإبل التي أحتاجها من قبل وصول الباشا وقد كان رده علي طلبي لم يكن لديه الإبل كهدايا التي تم تخصيصها كهدايا لبعض الخدمات أو غيرها ولكن بمجرد ان يكون لهم فيجب أن أحصل علي ماأريده ولذلك اضطررت إلى الصعود إلى القارب لأرافق مسيرة المعسكر. بدون جمال تحمل خيمتي وأمتعتي لم أتمكن من الراحة.

في اليوم الخامس عشر كل القوارب لحقت بسفن القوات المغادرة وكانت الرياح نحو اتجاه النهر وقد ذكرت ذلك مراراً وتكراراً وقد مضينا ببطء نحو الجبل. وهذة الظروف منحتني فرصة لزيارة الأهرامات والتي قد ذكرتها فى رؤيتي لمروي وتقف على بعد نصف ميل من الضفة اليمني لنهر النيل. وقد حسبت حوالي سبع وعشرين ليست مثالية ومكتملة ومتقنة بل ومعظمها محطمة والجزء الاكبر منها مبني بالحجارة وبالكاد كانت اقدم من التي في مروي. الأكبر علي الأرجح طوله أكثر من مائة قدم مربع وأكبر في الارتفاع وقد أظهر تميزاً في بنائه جدير بالملاحظة. وهو هرم داخل الهرم الداخلي أحدي جوانبه بدت محطمة وجعلته هذه الميزة

الظاهره بتسلق الجانب المحطم. لا آثار للمدينة أو أي أثر للمعابد الظاهرة في المنطقة المجاورة مباشرة لهذا المكان الذي يسمى من قبل المحليين (التربوت).

بتاريخ الثالث والعشرين قدمنا لرؤية الشلال الثالث وهو قريب من هناوالمنطقة تسمى أوولا . كنا مضطرين لاستنفاد تسعة وعشرين يوماً لنصل جزيرة كندي والتي تبعد حوالي خمسين ميلاً من مروي مستمرة باتجاه النهر من ناحية من الشمال الشرقي. في بعض الممرات حيث كان الماء عميقا جدا وكان من الضروري سحب القوارب بالقوة فوق الحجارة إلي عمق النهر. بقي مخيم الباشا كل هذه المدة حوالي مسيرة ثمانيه ساعات إلي مروي علي الضفة اليمنى لشاطئ النهر منتظرين حتي تعبر القوارب الشلالات لا تحركات عسكرية في هذا المكان ماعدا الأفندي مع أربعمائة فارس للإنضمام إلى الكتيبة في بربر حيث كان كل ذلك كان برفق وهدوء. المنطقة على منحدرات الشلال الثالث مجدبة ويتألف الجزء الاكبر منها من الجرانيت والرمل باستثناء بعض الجزر التي تحتوي علي أتربة جيدة وبعض المواقع على الشواطئ حيث شكلت فيضانات النهر وجمعت التربة الخصبة. وقد أظهرت الصخور على الشاطئ مؤشرات تثبت أن النهر قد ارتفع في بعض فيضاناته نحو عشرين قدماً فوق مستواه الحالي. ولم تقابلنا أنقاض أي مبانٍ قديمة نتيجة للشلالات ماعدا انقاض الحصن القوي على الشاطئ الأيمن للنهر وعلى الأرجح الدير المسيحي عكس الضفة اليمنى. وهذا المكان الذي اخبرت عنه يسمى (نيس) ويبعد حوالي ثلاثين ميلا من مروي.

خليل أغا والذي اجتاز كل الشلال الثالث وجد العديد من بقايا الجزر والتي ربما تكون للأديرة كما وجد العديد من الحجارة المغطاة بالنقوش الإغريقية اليونانية. أحد الذين أحضره لي وكنت مجبراً للتخلي عنه على الطريق الذي كان يحمله الجمل.

مررنا بجزيرة صغيرة والتي قال السكان الأصليون انها كانت تسمى مروي فى هذا الموقع حيث وجدنا الأهرامات في أسفل المعبد. لا توجد مؤشرات على أنها مدينة كبيرة والموجودة علي هذه الجزيرة هي صغيرة جداً ولأهمية وضع المدينة الاجتماعي، خليل أغا والذى سبح لهذه الجزيرة ، وأخبرنى أنه رأي

أنقاض بيت من الطوب وهنالك كميات هائلة من البيوت و جميع الصروح المدمرة وجدت في هذا المكان. جزيرة كندي الكبيرة وبعض الأجزاء منها مزروعة وتحتوي على آثار واضحة لمبانى الطوب ووجدنا قطع من الخزف والفخار القديم ولكن لاأطلال وأنقاض لأي مباني كبيرة.

عند عودتي الي مصر قدم السيد (سالت) العديد من النماذج والتي الآن بحوزته. مكثنا لثلاثة أيام في وسط جزيرة كند في السادس تلقت القوارب أوامر بالنزول إلي للجزيرة. وقد أصبحت المياه ضحلة ولايمكن عبورها ولكن بصعوبة بالغة. ومن ثم نزلنا وبقينا في الطرف الأسفل حتى الثالث عشر من الشهر والتأخر الذى كان بسبب غياب الرئيس الباشا الذي ذهب لتفحص القنوات والممرات من خلال ماتبقى من الشلال الثالث.

في الثالث عشر قاربنا و القوارب الأخرى قد مروا فوق الضفة اليمنى للنهر لكي تكون فى جانب معسكر الباشا نفسه. وفي اليوم نفسه تلقيت أمراً من الباشا لأحضر إلى المعسكر بأمتعتي وقد ذهبت وفقاً لذلك وقدمت نفسي لسيادته وطلبت أن أعرف سره فأجاب أنه يريد أن أبقى في المعسكر وأنه علي الفور سيزودني بوسائل مرافقته فى مسيرته المقصودة إلى البربر عبر الصحراء. بعد خمسة أيام قام سيادته بفصل معسكره وشرع في عمل أربعة دوريات حيث تم العثور على القوارب المتوقفة بسبب استحالة المضي قدما كما وجدوا المياه اكثر انخفاضا لتسمح بمرورهم. وقد وصلت إلي هذا المكان قبالة الطرف العلوي من جزيرة كندي وفي اليوم نفسه مع سيادته أصدر أوامر للخدم ليتبعوا جمالي وامتعتي. وفي صبيحة اليوم التالي وجدوا أنهم لم يصلوا. وكان قصد الباشا أن يستهل مسيرته إلى بربر في ذلك اليوم إمتطيت حصاني لأذهب وأتحقق من السبب لماذا لم تصل جمالي وقد علمت أن واحداً منها قد سقط تحت حمولته ومن الضروري أن يرسل الأول الذي يجب أن يصل لتفريغ حمولته لتحمل عبء الآخر. غادر الباشا معسكره نفسه مساء عودتي بعد مغادرة الجزء الاكبر من امتعتي في احد القوارب. مضيت وشرعت في الواحد والعشرين إلي المكان الذي كان معسكر الباشا الماضي للانضمام إلي بعض الأطراف التي ينبغي تاجيلها بسبب

ظروف مماثلة ومغامرتي وحظي السيئ. عند وصولي وجدت [حسن كاتب] وحوالي ثلاثمائة جندي ينتظرون وصول الجمال من بربر لتحملهم إلي الباشا. وقد كان بالجانب سبعمائة من المشاة المغاربة في القوارب ينتظرون الوسائل التي ستقل أمتعتهم وخيامهم عبر الصحراء. وعند تقديمي الظروف التي أخرتني أخبرني أن المختار كان متوقعا وصوله في غضون أيام قليلة وسوف يمضي بعد الباشا بيوم وأنني كنت أفضل من رافقه. قبلت المشورة ونصبت خيمتي في انتظار المختار وفي اليوم نفسه أبلغت بأن كل القوارب الكبيرة تلقت الأوامر بالتخلي عن محاولة عبور ماتبقي من الشلال الثالث للنيل. وواجهوا صعوبات كثيرة من خلال خمسين ممراً صعبا. وأفيد بأنه كان هناك أكثر من مائة في المقدمة قبل الشلال الثالث. وعندما امتلأ النهر أصبح الفيضان قوياً. وفي رأيي أن هذا الشلال من المستحيل أن يصعد إلى أعلى باعتباره يمثل الاتجاه القوي للنهر وقليل من المساعدات التي تستمد من الرياح والتيار في بعض الأماكن مابين الصخور والجزر في وقت الغمر ويكون نشطاً جدا بينما العقبات الطبيعية التي تغطي الشاطئ من هذا الشلال وهناك بعض الصعوبات يصعب التغلب عليها. إلا أنه وجد من الممكن تمرير القوارب فى كل الشلال الثالث الذى لايمتد أكثر من ثلاثة أقدام من المياه بكل الوسائل وبمساعدة جميع السكان الذكور على الشاطئ وبمساعدة الحبال سحبت التسع قوارب التى وصلت إلي بربر قبل أن يشرع الباشا في مسيره إلي سنار. ظلوا سبع وخمسين يوماً قبل الحصول علي جزيرة كندي في بربر. في أول يوم وصل المختار حيث كان يجمع الذرة للجيش وبعد يومين جلست بصحبته لنعبر الصحراء ويقع الطريق بالقرب من شاطئ النهر وفى منتصف نهار أول يوم الذي وصلنا فيه إلى مكان هادئ على حدود النيل حيث كنا نعسكر حتى الليل. وفي الصباح مع شروق الشمس امتطينا خيولنا وقد وصلنا فى منتصف اليوم إلى بركة مياه عند سفح صخرة عالية على مسافة ليست بعيدة عن النهر حيث أنعشنا أنفسنا وملأنا القرب بالمياه. لقد سرنا من منتصف الظهيرة حتي منتصف الليل وتوقفنا للنوم. في هذا اليوم كان النيل مملوءاً ومغموراً بالمياه حتي في هذا الموسم. وقد نمت أشجار الدوم والأكاسيا على

حدودها الخضراء والعشب الطويل كان كثيراً ووافراً. وعند شروق شمس اليوم السادس صعدنا مجدداً وجلسنا في المقدمة فى إتجاه يقرب من الشرق. طريقنا كان على التلال الصخرية والسهول الرمليه المنخفضة وأحياناً من خلال الأودية التي تحتوي على وفرة من الأعشاب الخشنه وأشجار الاكاسيا ولكن لاتوجد مياه يمكن العثور عليها في هذا الفصل وعلى الرغم من ذلك يمكن الحصول عليها من الآبار في بعض من هذه الأوديه. وبعد ساعتين توقفنا عند الظهيرة بعدها امتطينا خيولنا وتحركنا حتى منتصف الليل. وفي صبيحة اليوم التالي وبعد بزوغ ضوء الصباح شرعنا في رحلتنا وعند الظهيرة توقفنا في بئر المياه العذبة الذي وجدناه في طريقنا وهو يقع بالقرب من صخرتين عاليتين من الجرانيت. وكانت المياه صفراء وقذره ولم تتقبله الجمال العطشي. بمنتصف ظهر اليوم إمتطينا مجدداً أحصنتنا وواصلنا السير حتي منتصف الليل وعندما سقطت بعض الجمال توقفت البقية وجد المختار نفسه ملزماً بأن يأمر بالتوقف للراحة حتى الليل وكان ينوي مواصلة السير حتى الصباح. وفي اليوم الذي قال لنا مرشدونا يجب أن نصل إلى النهر أ ستلقينا على الأرض لننام ساعات قليلة. ولكن بشروق الشمس كنا قد دعينا لنركب وننطلق ومضينا حتى الظهيره. وعندها جئنا إلى مرأى النهر الذى لايمكن تقدير قيمته وجماله من قبل الذين لم يرحلوا عبر الصحراء التي تعوق اتجاهه. عندما وصلنا الحدود كان اليوم الثامن من الشهر وقد توقعت أن يكون مسيرنا المجهد والقسري سينتهي هنا وقد وعدت نفسي أن آخذ قسطاً من الراحة التى أحتاجها بشدة لأنني عانيت كثيراً من حرارة الشمس والتي أحرقت بشرة وجهي ومن الأعياء والتعب والجوع أردت النوم وكان لدينا الوقت لإعداد القليل من الأرز والخبز لمرة واحدة في الأربع والعشرين ساعة. ومن شدة غضبي احمرت عيوني منذ أن هوجمت في وادي حلفا في الشلال الثاني. لم يتساهل المختار معنا أكثر من نصف يوم وليلة واحده وقد خلدنا للراحة في شاطئ النهر الذي وجدناه مزروعا بوفرة علي جانب القرى من قبل السكان. وفي صبيحة اليوم

التاسع دعينا مرة أخرى للمضي قدما هذا اليوم مسيرتنا كانت بالقرب من ضفة النهر وعبر حقول الشعير والقطن.

وفي اليوم التالي لمسارنا سرنا في مكان ضيق لأرض صخرية ويقع بين النهر والتلال الصحراوية وقد راينا بعض البقع المزروعة. في الحادي عشر بدأنا التحرك فى مسيرتنا قبل شروق الشمس. الذى ينبغي أن يكون في معسكر الباشا عند الظهيره او منتصف النهار. طريقنا يكون هذا اليوم على حافة الصحراء حيث تلامس التربة المزروعة من قبل النيل والتي تشير إلى النقطة التي يمتد بها غمر النهر في هذه المنطقة. كلا الجانبين لهذا الطريق كان متتابع ومتصل والقري التى بنيت هنا لتكون بعيدا عن فيضان النهر والذي يستمر كل سنه بسرعة ويغطي كل المنطقة لميل أو ميلين من شاطئه الأرض الخاضعة للغمر في هذا الجزء مزروعة كأي جزء من مصر وجزء كرس وخصص لتغذية أعداد كبيرة من الجمال والأحصنة والخراف والاغنام والتي تعتمد عليها منطقة البربر في تدخرها وتعدها. واصلنا مسيرنا تقريباً حتى غروب الشمس دون توقف وعندما وصلنا إلى معسكر الباشا الذى كان إلي الجانب الغربي للنيل الذي يمتد هنا فى اتجاهه الطبيعي من الجنوب للشمال. بعد مسيرة خمسة أيام انعطف باتجاه الشمال ويوصف من فوق نقطة انعطافها مسار دنقلا، والذي كان السبب في خروج النهر من دنقلا ووجدناه يجري من الشمال إلى الشرق.

وطول هذا الانحناء الغريب في نهر النيل لم يعرف العالم المتحضر قبل حملة اسماعيل باشا. ربما يكون بطول مائتين وخمسين ميلاً والجزء الاكبر منه صخور ومنحدرات.

الرحلة من معسكرنا الأخير إلي الشلال الثالث لبلد البربر يتبع إتجاه النيل ويتطلب ثمانية أيام من السير القسري وذلك عن طريق الصحراء الممتدة فى إتجاه النهر مابين بلد البربر والمعسكرات الأخيرة تقريباً يتطلب أربعة أيام من المسير الشاق. الطريق من المكان الذي وصلنا إليه من النهر القادم من الصحراء حتى بلاد البربر ويقع عموماً على حافة الصحراء وخارج الأرض الخصبة ويستلقي مابين النهر والصحراء. وكنا نادرا نقاد إلى شواطئها من أجل التأكد من مظهرها وشكلها لكن من عدة نقاط حيث يظهر الطريق من النهر

لاحظت أنه يحتوي على العديد من الجزر الجميلة والبعض منها مزروعة مثل الحدائق. لاحظت النهر في الطرف السفلى من بلاد البربر به كثيرا من الصخور وقد تعلمت منذ وصولي بين الشلال الثالث والمعسكر أن المياه منخفضة جدا في هذا الموسم. ومن الأرجح أن يكون أكانجا الباشا اول قارب مر عبر الشلال الثالث للنيل إضطررت إلي حمله ثلاث مرات على الممرات الضحلة لم يسبق لسكان المنطقة أن رأوا قارباً يبحر مثل هذا قبل وصول هذا الكانجا. وكانوا يسمونه [بفرس الماء] يقارنونه بهذا اللقب من بين أسرع الحيوانات التي عرفوها وقد ركضوا في حشود إلي ضفة النهر لرؤية علوها وارتفاعها من غير مساعدة المجاديف.

في الثالث عشر كان لي استماع خاص للباشا في المساء ، واستقبلني سيادته كالمعتاد وقد أخبرته وأعلمته الظروف التي حالت دون مرافقتي له في مسيره من الشلال وأكد لي أنه أراد إعطائى الأوامر بتجهيز جماله. وقد فصلت لسيادته بعض الطلبات التي منحها لي تواً طالباً مني أن أعرض نفسي له كثيراً . وقبل تحركه من الشلال الثالث وصل إلي المعسكر سفراء من شندي من ملك شوز زعيم الشايقية الهاربين مطالبين عن شروط السلام وقد أجاب الباشا على ذلك بالشروط الوحيدة التي يمكنهم من خلالها الحصول على السلام معه ستكون بتسليم خيولهم وأسلحتهم والعودة إلى وطنهم ليعيشوا هادئين دون إزعاج جيرانهم وقد أجاب السفراء بأنهم لن يسلموا خيولهم وأسلحتهم وقد رد الباشا أنه سوف يذهب إلي شندي لأخذهم. سار الباشا حتى وصل إلي بربر زعيم شندي والذي يموله ويبدو أن شوز كان خائفا وقد أرسل ابنه محملا بالهدايا القيمة للباشا ليعلمه ويبلغه استسلامه ورضوخه وتلقي أوامره.

وقد كان الرعب والإرباك في هذه المرحلة واحداً من أقوى التحالفات لسنار وسوف يحدث لاحقاً دون الحاجة إلى معركة لضمان استسلامهم واحد من بقايا ممالك مصر الذين هربوا قبل وصول الباشا إلي شندي وعند وصوله إلي بربر سلموا أنفسهم ليحميهم إسماعيل باشا وقد عاملهم بلطف وكنا حاضرين لنحمل نفقات ترحيلهم إلي القاهرة أي المكان الذى غادروه بضمان وتأمين لبقية حياتهم ليعيشوا فى هدوء وطمأنينه في مصر تحت حماية ورعاية محمد علي.

وقد خرجوا من المعسكر وأبلغت أن المماليك كانو في حيازتهم العديد من العبيد والأحصنه الجميلة والتى ستتحول إلى صالح مصر وبقايا قليلة من المماليك في شندي تحت قيادة البك المتمرد وقد هرب إلي قري بحر الأبيض سوف يهلك هناك بشكل بائس. مجلس الأفندي الذي أرسل إلي شندي لترتيب شروط السلام مع ملك ذلك الإقليم وقد أمر بتأكيد ذلك للبك وأتباعه بنفس الإحسان نفسه والفضل والحماية الممنوحة بالفعل لرفقائهم الذين غادروا مصر دون ان يحققوا نجاحاً. مما لاشك فيه أن بقايا قوة المماليك والذين سلموا أنفسهم لوصاية وحماية نائب الملك سيصلون ومن ناحية انسانية فقد اهتم بمصلحتهم منذ انتهاء سلطتهم وانخفضت أعداد أفرادهم ولاشك في أنهم سيعيشون حياة هادئة في الوطن.

هؤلاء الهاربون تعيسو الحظ والذين فقدوا سيادتهم وذلك بسبب سوء سلوكهم وفي السابع عشر مررت عبر كانجا الباشا إلى الجانب الشرقي من النهر لزيارة العاصمة في بربر والتى بجانب لمعسكرنا والوصول الي الشاطئ يستغرق مدة نصف ساعة من خلال حقول الذرة الهائلة يصل إلي الطريق الذي يقود إلي مقر الرئيس.

بعد المزارع جئت الي مجموعة من القرى التى تمتد حوالي ثلاث أميال أسفل النهر. ومن بين هذه القري قرية تسمي [قووز] والتي تم وضع علامة لها في الخريطة كعاصمة لبربر ولكن إقامة ملك أو زعيم الشاطئ الشرقي ليست فى [قووز] ولكن في مجموعة تدعى [نوسردين] وكما أعلمت بعد وصولى إلى الملك الحالي يقيم هناك.

البيوت في هذه القرى مثل بقية البيوت التي في قرية بربر وقد بنيت من الطين والسقوف من الأخشاب مغطاة بالدعامات والقش الملك مثل مواطنيه غير أنه الوحيد الأكبر. الشاطئ الغربي يحكمه ملك آخر والذى تتمركز قريته أعلى النهر من موقع معسكرنا. مواطنو [نوسردين] والقري الكبيرة المجاورة أرضهم خصبه ومزروعة بشكل جيد وفى وفرة من الذره والقطن والشعير والأحصنه الجميلة والجمال والماشية والخراف والأغنام والطيور كما هو في كل بلاد البربر، لقد وجدت في هذه القرى بعض من قوافل التجار

الذين ليس لديهم شئ يبيعونه إلا الملابس القطنية الخشنة وهذه الملابس تشكل الملابس الوحيدة للسكان ويرتديها النساء والرجال علي حد سواء ويلفونها حولهم نهايتها تكون فوق الكتف أو الرأس. علي الرغم أن البربر يشبهون فلاحى مصر العليا في لون البشرة والمزاج العام لكنهم ليسوا بشكل جيد في المظهر والملامح والعديد منهم لديهم أسنان ناقصة وعلى الأرجح بسبب مضغ وتعاطي التبغ السيئ الذي لديهم وهو أمر شائع هنا.

الجزء الأكبر من أعمالهم المنزلية والميدانية يؤدى بواسطة العبيد الذين يشترونهم من القوافل القادمة من دارفور. بعض مالكي الإماء اللواتي يسمحون ان ينام معهن الجنود من معسكرنا بدولار وبدون رقابة أو تردد. نساء بربر المارقات اللواتي يخالفن العرف في مصر يذهبن من غير تغطية وجوههن وبدون أى ارتباك أو حرج . وكل من الرجال والنساء يعتبرون أنفسهم في ثوب كامل ماعدا شعر الرأس قد مشط وعندئذ يزين ويضفر ويخطط مع بعض بشكل وافر وبعد ذلك يتم مسحه بالدهن وأعتقد أنهم لايقطعون شعرهم ولذلك فإنه يكون أشكال وعناقيد كبيرة خلف الرأس مشابهة لتلك التي لوحظت في مصر القديمة . ويمارس الختان بطريقة همجية ووحشية بشكل عام على جميع إناثهم سواء أكن عبيداً أم حرائر كما هو الحال في جميع القبائل التي سكنت شواطئ النيل فى أسوان. مواطنو بربر فى سلوكهم الظاهر لطفاء ومهذبين ومتسامحين وكل رجل نقابله يحيينا بتحية الإسلام [السلام عليكم] .

مواطنو بربر التجار فى كل عام يزورون ويعبرون ويتجولون بين سنار ودارفور وكردفان. وفي الثالث عشر من جمادي الآخر وفي هذا اليوم وصل [ديفان أفندي] من شندي يرافقه ملك ذلك الإقليم وابن ملك شوز زعيم الشايقية الهاربين.

ملك شندي كان يرافقه حاشية كبيرة واثنان من أجمل الأحصنه ومجهزة كهدية للباشا وعندما قدم إلى سيادته قبل يده ، وأمسك بها وضغطها إلي جبينه وأخبره أنه يريد أن يسلم نفسه وبلاده لصالحه وحمايته وقد استقبله سيادته بكرم بلطف وسماحة وقدم له زى المناسبات وحصان أصيل.

بعد إنتهاء عرضه وصل إلى خيمة الحسنردار وقد وجه الباشا بمعاملته بكل كرم. وصل نجل ملك شوز زعيم الشايقية نيابة عن والده وغيرهم من زعماء الشايقية وذلك لطلب العفو والرحمة من الباشا لهؤلاء الزعماء وبقايا الهاربين من أتباعهم الذين كانوا في شندي منتظرين قرار الباشا. وقد عقد الباشا العزم على أن يضعوا أسلحتهم ويسلموا خيولهم لتحقيق السلام بينهم.

عاد زعيم شندي بعد ثلاثة أيام في الخامس والعشرين من الشهر, مررت علي الجانب الشرقي من النهر لشراء الابل كما كان هناك العديد من المشترين وفي هذا الوقت لم أجد الكفاية اللازمة وذلك لإرتفاع الثمن الباهظ المطلوب وقد قضيت معظم اليوم في بلدة نصر الدين في بيت واحد من زعماء بربر الأساسيين ويلقب (بملك) كما يفعل جميع زعماء بربر والشايقية ودنقلا المشهورين وكرامتهم متوارثة من الأب الي الابن وقد لاحظت أن عائلات الملوك تتفوق على العامة من الناس فيما يتعلق بالمكانة والقوة والشجاعة.

وفي بيت الملك الذي كنت أسكن فيه كان هناك رجل يبلغ من العمر قرابة الستين عاما ويبلغ طوله سبعة اقدام وكان شجاعاً جداً وابنه الأكبر شاب يبلغ حوالي اثنين وعشرين عاما وطوله سته أقدام وأربعة بوصات شجاع ومتناسق القوام وأظن أن هذا التفوق في الحجم يعزى الي الظروف التي يعيشون فيها بشكل جيد وليس لديهم عمل نظراًلأن الآخرين يعملون لهم. أسرة هذا الملك أكرمتنى لفترة دون توقف وكل الذين يدينون بالإسلام كذلك.

وقد عرضت علي الأم إحدى بناتها لأضاجعها في الفراش وهما أجمل شابتين رأيتهم في بربر وكانتا متزوجتين لرجلين وكانت بيوتهما في الطرف الآخر من المدينه وقد أخبرتُ الأم أن المسلم الحقيقي ينبغي أن يعتبر أن الاضجاع بزوجة جاره جريمة كقتله في سريره وأنا آسف ومجبر لأقول ذلك على الرغم أن البربريين كادحين ومنظمين وملتزمين لكن الذين يحترمون نسائهم , ويبدو أنهم فاقدي الضمير لأن تصرفاتهم متناقضة مع تعاليم القرآن وعاداتهم المشتركة و عانوا من المشي ووجوههم مكشوفة والحديث مع الجنس

الاخر في الطرقات والشوارع والحقول .و قد اعتادت النساء على منح عطفهن للمواطنين بشكل متحرر كما يفعلن مع كثيرمن جنودنا , يجب أن اتصور أنه من الصعب عادة على الرجل في هذه المنطقة أن يعرف أباه. وعند عودتي إلى المعسكر كنت أتسلى وأستمع بالطريق بمناظره والربط بين هذا الموضوع و بين الملك الذي ذكرت والجندى , وقد حدث في القارب الذي أعادني إلى المعسكر وكان الحمل ثقيلا على القارب .وهذا الملك العظيم كان يخطو إليه, عندما ذكرت الجندي المعلن والمحكوم عليه بالاستبعاد وكان يدعى بأسماء حقيره مثل سمسار الفاحشة أو الديوث ، وعلى هذا وبخت الجندى وأخبرته أن هذا الرجل يعتبر شخصية في بلده ومضيافاً للغاية للعثمانيين و قد هدأ هذا الجندي والملك ,عندئذ منح الملك الجندي بطريقة لطيفة وسأله لماذا أمنح تلك الألقاب والتسميات ومع أنهم مسلمون ، رفض الجندى ادعاءات الملك لهذه التسمية.

طلب الزعيم على أي أساس أنكر الجندى قال الجندى: بسبب كل النساء اللواتي في منطقتكم وجميع الرجال في حالة سكر تام بالبوزا والعرقى وغيرها من المشروبات الكحولية والتي تصنع من الذرة والبلح , وطلب أن تكون لي ولم يكن على حق ويبدو أن الزعيم الفقير قد بدأ مغتاظا ولم يكن قادراً للرد علي الاتهامات وظل صامتاً.

لم يقتنع الجندي بإذلال وتحقير الملك وأن يتابع تقدمه من غير رحمه وقال للزعيم لا أصدق أنك لاتعرف شئ عن دينك وقريباً سأجعلك تحس به , وعندئذ سأل الزعيم كم من الانبياء قد سبقوا (النبى محمد ﷺ) لو يعرف أي شئ عن تاريخ ذي القرنين وياجوج وماجوج والعديد من الاخرين في المضمون نفسه ، كيف نجيب الملك الذي أكره أن يكون جاهلاً وعندئذ أخبره الجندى قائد او امير المسلمين قد سمح لوزيره محمد علي باشا ان يجمع الناس في الاجزاء العلوية للنيل ، وقد جاء الآن بينهم العثمانيون ليتعلموا كيف يتصرفون بأنفسهم, وقد ينتقم الملك من الجنود وقد علم بذلك مثلي ، وقد اختفى في مدينة (ناصر الدين) وصراحة قد اعتبر نفسه مع نساء المدينه ومماالاشك فيه أنه ألفت الانتباه اكثر للبوذا وقد اصبح سكيرا في بربر.

بعد أن حصلت على أفضل المعلومات التى كنت قادرا على الحصول عليها وهي قليلة وليست ممتدة, من أعلي الشلال الثالث مسيرة أكثر من ثمانية أيام على طول جانبي النيل ويحدها من الضفة الشرقية البحر الاسود و من ناحية الجنوب ويفصلها عن منطقة شندي .وتصل الارض الصالحة للزراعة عموما مساحة ميل أو ميلين من النهر فانه يفيض في وقت الفيضان (الغمر) ومنتجاتها وفيرة جدا تحتوي على الذرة والدقيق والفول والقطن والشعير وحبوب صغيرة تسمي (دوتشان) التبغ وبعض حدائق الخضروات المماثلة لتلك التي في مصر وأيضا يربي البربر أعدادا كبيرة من الماشية والخراف والاغنام وقرون الماعز والجمال والحمير والخيول الجميلة.وهي كثيفة السكان وتتابع القري على طول الطريق من كلا جانبي النهر وقد بنيت المنازل من الطين والسطح مغطي بالقش, ولكن بيوت الملوك لها سقوف متجاورة من الطين وهذه الطريقة في البناء كافيه للمنطقة حيث لاتوجد كمية كبيرة من الأمطار فلا تسقط الأمطار بكميات كبيرة في العام.

بعض من بيوت القرويون تكونت من سيقان الذرة وموضوعه جنبا الي جنب في شكل منحدر وتضرب ببعض بسقوف نفس المواد.ينام كل الناس علي هياكل السرائر كمايفعلون في دنقلا والشايقية وهذه الهياكل تتكون من إطار مستطيل من الخشب يقف علي أربعة سيقان قصيرة وجانبي الاطار يدعمان شبكة منفصلة من السيور الجلدية التي ينام عليها الشخص وهي قابلة للتمدد ومريحة.

تحتوي بربر على وفرة من الملح والذي يجده القرويون في الجبال الجيرية مابين الصحراء والأرض الخصبة في حالته الطبيعية ويوجد مخلوطاً بالتراب البني بأحجار تلك الجبال المختلطة وهذه الأرض تخفف بالماء الذي يمتص الملح ويترك القاع وعندئذ يسكب الماء الى وعاء آخر ويتعرض للشمس والنار ويتبخر الماء ويبقى الملح.

إن تجمعات القرى التي تشكل عاصمة (لنصر الدين) تحتوي على عدد كافٍ من المنازل لسكان يتراوح عددهم مابين خمس و ست الآف نسمة ، ولكني لا أعتقد أن عدد سكان تلك القرى كبير جدا' فاللغة هي اللغة العربية مفهومة وواضحة للمواطنين المصريين وتحتوي علي بعض الكلمات القديمة جداًَ وغير المستخدمة

في الوقت الراهن على سبيل المثال يدعوا البربر الأغنام بالكبش.أما بالنسبة الى المناخ ، فالإختلاف فى الحرارة ساعتين فى الشهر كاالإعتدال الربيعي وقبل ساعة من شروق الشمس عشر درجات من مقياس (دومر) للحرارة وكما أُبلغت من أفراد الطاقم الطبي الذي التحق بالجيش والذي كان فى موقع ذلك الجهاز.كما هو الحال في بداية الربيع تشعر بساعتين من الحرارة بعد منتصف اليوم وهى كبيرة كما هو الحال في فصل الانقلاب الصيفي في القاهرة.

لم أر أي حيوانات شرسة، أما في البرية فنعتقد أنها نادرة . في الخامس من شهر رجب يستمر المعسكر في بربر منتظرا وصول بقية المدافع والذخيرة والمؤن والقوات من المراكب إلى الشلال. لماذا لم تنتقل إلى هنا قبل هذا الوقت؟ جزء كبير من الجمال التحقت بالجيش وقد وصلت منهكة وذلك بسبب المسير القصرى للباشا عبر الصحراء فوق منطقة بربر وقد تحصلوا على عدد ضخم من الجمال وأرسلوها إلى الشلال ومتوقع ان يصل المزيدمن شندي إلى مكان المجلس أو ديوان الأفندى مصحوباً بزعيم ذلك الإقليم وذلك عندما غادر معسكرنا ليستقبلهم.

غادر عابدين كاشف قبل يومين إلى دنقلا مع كتيبة وهو المسؤول عن حكومة المنطقة مابين الشلال الثاني والثالث بواسطة محمد علي .اثني عشر رجلا تحت قيادة إبراهيم كاشف في طريقهم ليحلوا محل الشواغر فى معسكرنا وذلك برحيل عابدين كاشف ومن المتوقع أن يصلوا في غضون بضعة أيام إن لم يتاخروا بمرض إبراهيم والذي يقال أنه قد مرض مرضا خطيرا على الطريق.

فى اليوم السابع من رجب أتى نصر الدين ملك البربر لتقبيل يد الباشا وقد منع من إعطاء ولاءه الى الفاتح بسبب المرض ، وقد أحضر معه كهدية الى الباشا خمسين من الخيول الجميلة وخمسين من احسن سلالات الإبل ، وقد استقبل سيادته استقبالا حاراً وقد ردَ الباشا هداياه بأخري ذا قيمه كبيرة . نصر الدين رجل ضخم جداً وطويل القامة وعمره ستون عاماً، وبعد يومين من فرصة الذهاب إلى الجانب الآخر من النهر وجدت نصر الدين على الشاطئ منتظراً وصول المركب ليحمله وبعض من رجاله ، وقد اقترحت له ببعض

التقديرات التى لها صلة بالأحصنه الجميلة والتى قدموها إلى الباشا والتي قد أفرحته إلى حد كبير، وقد دعانى للحضور إلى منزلهُ ليكرمنى بتناول وجبة وقد أخبرته بان لو الظروف سمحت سأزوره فى غضون أيام قليلة.

فى اليوم العاشر من رجب الى نهاية الشهر لاشئ يستحق الملاحظة ماعدا وصول القوات من الشلال لمخازن ذخائر المدافع والتى كانت هناك عندما تركها الباشا لنقل الجمال اليها .فى آخر يوم من أيام الشهر وصل سلاح فرسان ابراهيم كاشف من مصر و يتكون من أربعمائه من أفضل الخيالة وألف من جنود المشاه وهى حتى الآن بعيدة المسافة ولكن ليس هناك طريقة لينضموا الينا وابراهيم كاشف فى وادى حلفا مريض.

فى الثاني من شهر شعبان بوقت قصير قبل ساعة من صلاة الظهرأُطلقت الإشارة وأُزيلت الخيام وصعدنا أحصنتنا وهي مفعمة بالحيوية والراحة الطويلة وشرعنا في المسير لاجتياز المنطقة الشهيرة للرعاة الاثيوبيين وفى الوقت الراهن أصبح موضوعاً لملك شندى وقد وصلنا مقابل شندى من خلال مسارات سهلة خلال ثمانية أيام, وعسكرنا على الضفة الغربية للنهر بالقرب من قرية تسمى (شندى الغرب).

مسارنا من بربر كان خلال المنطقة التى تتكون من السهول الممتدة ذات التربة الخصبة التى تمتد على بعد أميال من النهر ومعظمها جبال مغطاة بالأعشاب والتلال ونادراً ماتكون الجبال مرئية.

مررنا بالعديد من القرى الكبيرة والتى هى بعيدة عن النهر لتكون بعيدة عن (الفيضانات) .بيوت هذه القرى خاصة بالقرب من شندى وقد بنيت من القش على الأسطح المنحدرة والتى تشير أن الامطار قد هطلت على هذه المنطقة وخلال مسيرنا كنا فى مرأى النهر ماعدا العسكر وقد وجدنا فى هذا الموسم مياه سطحية وضحلة ورغم أن قاعه كان واسعا حوالى ميل ونصف. أتى زعيم الإقليم لتحية الباشا ويبدو أنه أعد الجيش جيداً وقد تصرف بشكل نموذجى.

فى اليوم التاسع من الشهر زرت مدينة شندى الغرب بالقرب من معسكرنا وهى كبيرة ومبانيها أفضل مقارنة بالمدن الأخرى ، وقد رأيت من أعلى النيل وأنها تحتوى على ستة آلاف نسمة وثلاث اماكن للتسوق حيث

يتبادل سكان المنطقة ما يحتاجون من الدولارات والذرة ولايفضلون عملتنا لأنها مجهولة ولاتمثل قيمة بالنسبة لهم ولكن أحيانا يقبلون بالطيور والخضروات والزبدة واللحم والذرة أما بالنسبة للدقيق فقد طلبوا الدولارات. فى العاشر من الشهر ذهبت إلى الضفة الشرقية لشندي والتى تعتبر عاصمة للمنطقة بيوتها منخفضة ولكن قد بنيت بشكل جيد من الطين ومساحاتها كبيرة محاطة بجدران لاستقبال البضائع التى جلبتها القوافل، والتى ينظر إليها فى أجزاء متنوعة من المدينة وهى كبيرة تحتوى على الأرجح من خمسة الف الى ستة الاف نسمة والشوارع واسعة وهوائها متجدد وتوجد الأسواق المنظمة وفيها بجانب اللحم والزبدة والخضروات والحبوب وتنقل التوابل من جدة والصمغ العربى والخرز والحلي الاخرى للنساء.

أهالى منطقة شندي لهم شخصيات سيئة وشرسة واحتيالية أعداد كبيرة من كلا الجنسين من الحبشة ودارفور يمكن العثور عليهم هنا بسعر متوسط وبعض الفتيات الحبشيات الجميلات تباع بحوالى أربعين إلى خمسين دولاراً.

زعيم شندى الذى جاءنا فى معسكرنا فى بربر قد بذل قصارى جهده لتعزيز تنظيم وترتيب مواطنيه امام العثمانيين وقدم له الباشا الهديد من الهدايا مئات من الجمال الجميلة جدًا خلال اليومين الماضيين, بيته لم يبنَ بمواد أفضل مقارنة ببيوت مواطنيه ومختلف عنها فقط فى كونه أكبر.

تبعد شندي حوالى نصف ميل من الضفة الشرقية للنهر ، أما ضواحى المدينه فهي رملية وتستمد أهميتها من كونها ملتقى قوافل سنار والدول المجاورة التى تذهب إلى مكة ومصر. ويقال إن الأراضى التى تنتمى الى زعيم شندى كبيرة جدا ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تتضاعف إلى حد ما وعلى أية حال يمكن أن تكون جنباً إلى جنب مع ملك حلفا , وقد حضر إلى ساحة المعركة حوالى ثلاثين ألف من الفرسان يمتطون صهوات الجياد وهى جميلة وموجودة فى كل أقطار العالم.

وفى الرابع عشر من الشهر بعض الذين ذهبوا إلى القرية المجاورة للمعسكر للحصول على نصيبهم من الذرة من مستودع القرية التى انشأت هناك من قبل زعيمها لخدمة الجيش وكان هناك سوء معاملة وقتل هناك إثنان

منهم بشكل مباشر بالرماح اما الآخرين فقد جرحوا وأصيبوامن قبل السكان ، وقد وصلت أخبار هذه الانتهاكات الى المعسكر وقد أخذ الجنود أسلحتهم متقدمين إلى تلك القرية عازمين على الانتقام لرفقائهم حتى الموت باشد الطرق تحديا, وتقريبا فى خمس دقائق سار كل المعسكر لهذه القرية. عندما أرسل الباشا الأوامر لوقفهم وترك الأمر له ، وعلى أية حال كان من المستحيل منع أكبر قدر منهم من التقدم للقرية التى نهبت ودمرت والعديد من سكانها يضحون بضراوة. سلوكه المتميز فى هذه الحادثة كان جديراً بالتقدير والإحترام.

وفى اليوم الخامس عشر من الشهر وقبل غروب الشمس بساعتين تم إطلاق الإشارة وقد بدأ معسكر الباشا تحركه نحو سنار وقد سرنا حتى منتصف الليل واسترخينا كالمعتاد على ضفة النهر حتى وقت الظهيرة وفى يوم السادس عشر من الشهر حينما بدأنا مسيرتنا حوالى خمس ساعات وقفنا ثم مكثنا لثلاثة أيام هنا حتى الثامن عشر من أجل الحصول على مؤن الأحصنة من القرى المجاورة والتى هى كثيرة وكبيرة كالمنطقة ومن خلال طريقنا الذي يفتقر إلى السكان والزراعة .

وفى يوم السادس عشر كان (مالك شوز) زعيم الشايقية الهاربين، الذى هرب عندما اقترب الجيش من المنطقة قد جاء إلى المعسكر ليسلم نفسه لقيادة الباشا وقد خاطب الباشا كما أعلمت (لقد قاتلت ضدك بأقصى حد من وسائلى وقوتى وأنا الأن مستعد إذا أردت أن أقاتل تحت أوامر الفاتح) .الشجاعة التى أظهرها هذا الرجل فى المعركة وثباته فى الشدة والمحنة وقد احترم العثمانيون واكرمه الباشا بلقب (البمباشى) واستقبل مرافقيه وأتباعه الى ضيافته .

(ملك شوز) رجل كبير ويبدو من ملامحه أنه محبوب رغم لونه الأسود وقد بلغ الأربعين من العمر ويعتبر من أعظم المحاربين بين مواطنى أعالى النيل والذين قد وقعوا جميعا فى رهبة منه .

وبتاريخ التاسع عشر والعشرين والحادى والعشرين من الشهر كانوا قد عبروا البلاد وقد كانت صخرية قاحلة ودون زراعة , سرنا لمدة ثلاثة أيام من منتصف الظهيرة حتى منتصف الليل.

وفى اليوم الثالث الذى وصلنا فيه الى المنطقة المتاخمة لحدود النيل وتحتوى على عدد من القرى حيث مكثنا حتى منتصف النهار فى الواحد والعشرين .

عند وصولنا لهذه القرى كان الظلام والجوع الشديد قاسياً وصعباً على العديد من الجنود وقد أخذوا الخراف والأغنام بالقوة من السكان وقد تدخل ضباط الباشا بقوة لمنع هذه المخالفات وصدرت الأوامر من سيادته حيث تمت معاقبة معظم المخالفين لإرضاء وإشباع مطالبهم الطبيعية .وفى ساعة صلاة العصر أطلقت الإشارة وبدأ المعسكر بالمضي قدماً إلى الأمام. غادرنا القرية المذكورة آنفاً وقد مررنا عبر مسالك رملية مغطاة بشجيرات الاكاسيا الشائكة والتى أربكت مسيرنا وبسبب العديد من الطرق الالتفافية قد سببت للجيش بفقدان طريقه بعد تجوال حتى منتصف الليل وصل المعسكرإلى ضفة النيل.

فى الثاني والعشرين وحين بزوغ القمر مضى المعسكر وتوقف فى وقت الظهيرة على شاطئ النهر فى الجهة المعاكسة لحلفا وهى كبيرة جدا على الضفة الشرقية وقد مكثنا هنا حتى السادس والعشرين للحصول على الذرة من هذه المنطقة والتى جلبها الزعيم للباشا كهدية بعض الأحصنه الجميلة والعديد من الإبل وصلت كهدايا قيمة.

جانبنا من النهر متصحر ومغطى بالأشجار والشجيرات وفى الثالث والعشرين قد ارتفع النيل حوالى قدمين وغمرت أجزاء من الشقوق الرميلة حيث كنا نعسكر وقد دخلت المياه العديد من الخيم وكانت خيمتي من بينهن وقد ترطب فراشى والأمتعة وقد ارتفع بعد فتره وجيزة وكان الجيش فى بربر وانحسر بعد ذلك أكثر مما كان مرتفعاً.

نجد السماء كل يوم ملبدة بالغيوم المتباعدة أكثر وأكثرمصحوبة بالرعد والبرق والعواصف والتى أدت إلى إختفاء خيمتى مرتين.

خلال أيام قليلة ومتكرره نزلت على معسكرنا قطرات من المطر، وفى السادس والعشرين وبعد ساعة من وقت الظهيره توجهنا إلى بحر الأبيض مسيرة خمس ساعات فوق موقعنا الحالى حيث يعتزم الباشا العبور إلى أراضي سنار .

وصل المعسكر مع مغيب الشمس إلى موقع قريب من تدفق النيل الى البحر الأبيض. وفور وصولى شربت من هذا النهر ويبدو أننى أول رجل من أصل فرانكى يتذوق مياهه. النيل ليس واسعاً مثل البحر الأبيض والذي هو من ضفة الى اخرى على بعد ميل واحد حيث ينضم إليه النيل بحوالى ميل وربع فى العرض والاتساع ويكون ذلك بعيداً كما نراه من الغر ب الى الجنوب الغربى. يجب أن يكون النيل بعد حملة إسماعيل باشا كفرع لم يكتشف بعد والذى على الارجح وجد ليكون متصلا مع النيجر.

فى السابع والعشرين وفى الصباح الباكر بدأ الباشا فى نقل الجيش عبر البحر الأبيض عن طريق تسعه قوارب صغيرة قادرة على عبور الشلال الثالث لتلحق بالجيش ، المنطقة التى على جانبنا من البحر الأبيض وفيما يبدو أنها من غير سكان ؛ وقد عسكر الجيش بجانب النهر فى سهل جميل من تربة جيدة ومساحة كبيرة نحو الصحراء وأثناء فترة الغمر أصبح هذا السهل واضحاً أنه جزيرة كما ان هناك قنوات تغطيها المياه فى مؤخرته هذا الموسم الجاف وتم العثور على مسارات فرس النهر من خلال هذا السهل.

بتاريخ التاسع والعشرين بعد الظهيرة فى يومين ونصف أنهى الباشا نقل كل معسكره إلى سنار ويحوى حوالى ستة الآف شخص بالمدفعية والذخيرة والخيام والأمتعة والأحصنه والجمال والحمير بمساعدة تسع قوارب صغيرة ليس منها كبيرة ,أعتقد ألا مثيل لها فى سجلات الحرب التركية.

أثناء إقامتنا في الجانب الأخر فى البحر الابيض أفدت المعسكر أن بعضاً من الجنود المغاربة ذهبوا لإطلاق النار على الغزلان فى الصحراء والتى تقع بعيدا عن النهر. وهناك حيوان يشبه الثور إلا أن قدميه كانت مثل الإبل لم أر هذا الحيوان ولكن هذه القصة أكدها لى البعض.

وعبر الجيش البحر الابيض وعسكر على نقطة التقاء البحر الابيض مع النيل. مياه البحر الأبيض بيضاء ولها طعم حلو المذاق وقد قال الجنود أن مياه ابحر الابيض لن تطفئ العطش وربما قد إنبثقت هذه الفكرة من ظروف التعب الذي عاشوه. مياه النيل فى الوقت الراهن بالكاد نقية وشفافة ولكن مقبولة بأى حال من الأحوال كالبحر الأبيض كما جربت أنا بنفسى أن أشرب من البحر الأبيض وعندئذ أسير مسافة حوالى مئتى ياردة داخل الموقع وأشرب من مياه النيل والتى ظهرت أمامى والتى بدا لى من الصعب مقارنتها فى الذوق والطعم. لا شئ يمكن أن يكون أسهل من أن يرتفع البحر الأبيض من المكان الذى نحن فيه.

الكانجا مزودة بالبشر والأسلحة ومصحوبه بقارب آخر تحتوى على مؤن لأربعة او ستة أشهروقارب مفروش لتمكينهم بالليل من أن يرسوا فى النهر ، وربما الصعود والعودة بشكل آمن كما أن القبائل على حدودها تفزع من الأسلحة النارية.

مكثنا على جانب سنار في البحر الابيض حتى اليوم الأول من رمضان عندما بدأ الجيش مسيره الى العاصمة سنار متحركا بضفة النيل. وصل الجيش إلى سنار فى ثلاثة عشر يوما وأطلقت الإشارة لضرب الخيام وتحميل الإبل وأطلقت عموماً بعد ساعتين من منتصف الليل.

تم السماح بساعة واحدة لتحميل الأمتعة عند إطلاق المدفع الثانى وبدأ مسير الجيش واستمر كل يوم حوالى ثلاث ساعات قبل الظهر وقد استراح المعسكر ساعتين بعد منتصف الليل فى نفس نفسه.

وقد عانى الجيش بشدة أثناء هذا السير ولم يعط شيئاً من مواد للقوات إلا الذرة وفى كثير من الأحيان تمر عليهم أوقات صعبة ويكونون فى محنة للحصول على وسائل لإعداد الوجبات البسيطة من الخبز الذي كان كل ما لديهم لتناول الطعام . لنفسى فقد قللت إلى الحد الأقصى وتحمل الإبل مؤونتى وأواني طبخي المنزلي والعديد من القطع فقدت بالإهمال وقد تركت دون أي شيئ لتناول الطعام أو وسائل لإعداد مايمكننى الحصول عليه . ألقيت بنفسي تحت ضيافة خيمة السيد (كايلود)و احتلها السيد ورفاقه وهو الرجل النبيل الذى ذكرته في الاستهلال ويستحق الاحترام والتبجيل حيث بقيت معه حتى وصولي إلى سنار.